

## كيف يمكن للعمل المقبول أن يُحوّلنا إلى نُسخةٍ أفضل من أنفسنا؟

ما معنى العمل المقبول؟ وكيف نجعل أفعالنا في مسار القبول؟

يُخبئ في أعماق كل إنسان ميل فطري عميق نحو التكوين وبلوغ الكمال. هذه الرغبة في الارتقاء تدفعنا للبحث عن سبل كفيلة بإطلاق العنان لمواهبنا الكامنة. ولكن كيف نبدأ هذه الرحلة الطويلة المليئة بمنعطفات نحو الكمال؟ وكيف نبلغ غايتها؟ الجواب يختصر في كلمة واحدة: العمل! فالعمل ليس مجرد سلسلة من حركات وأفعال، بل هو قوة محرّكة تدفعنا إلى النمو والتطور. من دون عملٍ، تبقى طاقاتنا حبيسة أعماقنا، وتظل أحلامنا بعيدة المنال. لكن ما الذي يجعل أعمالنا، سواء كانت بوعيٍ أو من غير وعي، تصوغ جوهر ذواتنا؟ هنا يتجلى معنى العمل المقبول.

تأمل فنائاً يمرّ فرشاته على اللوحة بحسّ دقيقٍ ليخلق جمالاً جديداً، أو رياضياً يتصبّب عرقاً في التدريب حتى يبلغ ذروة لياقته. كلاهما لا يصنع إنجازاً فحسب، بل يُعيد تشكيل نفسه في كل خطوةٍ يخطوها؛ فيصبح أنضج، وأعمق تجربة، وأقرب إلى نسخته المثلى. لكن، هل كلّ عملٍ يقود إلى هذا التحوّل؟ هل كل فعلٍ يُنمينا ويقربنا من الكمال؟ وهل كل عملٍ هو «عمل مقبول»؟

الحقّ أن حياتنا مليئة بالمفترقات. فبعض الأفعال تستهلكنا وتصلّنا عن الطريق، وتشتت طاقتنا وتبعدنا عن الغاية، بينما هناك أعمالٌ أخرى تشبه المصابيح، تنير الدرب، وتمنحنا زخماً جديداً، وتدفعنا صعوداً نحو قمم النجاح. بعبارة أخرى؛ فبعض الأعمال مقبولة، وبعضها مردودة!

في هذا الدرس سنتأمل مفهوم العمل بعمقٍ أكبر، لنفهم كيف نميّز بين العمل المقبول والعمل المردود. وسنضع إطاراً يرشدنا إلى إدراك الدور الحقيقي للعمل في حياتنا الفردية والاجتماعية والروحية؛ إطاراً يساعدنا على اختيار الأفعال التي تفتح أمامنا طريق النموّ والسموّ، لنصبح في نهاية المطاف أفضل نسخةٍ من أنفسنا.

**العمل: معناه، أنواعه، علاماته وآثاره**

لفهم أنواع العمل، لا بد أولاً من الوصول إلى تعريف شامل لماهيته. فما هو العمل؟ هل هو مجرد مجموعة من مناسك وطقوس ظاهرية، أم أنه مفهوم يتجاوز ذلك؟ ما الفرق بين العمل وحركة عفوية لا هدف لها؟ وما

الفارق بين العمل المقبول والعمل المردود؟ وما هي مؤشرات يمكن من خلالها تمييز العمل المقبول من المردود؟

### مفهوم العمل وماهيته

يمكن تعريف العمل، بشكل عام، على أنه كل فعل أو سلوك أو جهد واعي وموجه بنية محددة ولتحقيق غاية معينة. لكن هذا التعريف لا يتناول سوى جانب سطحي. فالعمل مفهوم أعمق من مجرد حركة فيزيائية أو نشاط ذهني؛ إنه في حقيقته قوة دافعة تُعين الإنسان في مساره نحو "الصِّيْرورة" ونيل الكمال. وبتعبير أدق، العمل هو ما يُفضي إلى النماء والتكوين والكمال. إنه منبع قوّة الإنسان ورأس ماله الحقيقي. لقد فرض الله تعالى على الإنسان مجموعة من تكاليف وواجبات، والعمل بها يرتقي بالفرد إلى مستويات الكمال الإنساني ويؤهله لحياة النعيم.

إن بلوغ أي هدف يتطلب جهداً وممارسة؛ فمثلاً، في تعلم فن الطبخ، لا يكفي مجرد معرفة وصفة الطعام، بل يجب اكتساب وممارسة مجموعة من سلوكيات وقوانين وقواعد لبناء طاهٍ ماهر. بعبارة أخرى، العمل هو منظومة من الأفعال والقواعد والأوامر والنواهي التي تُوصلنا إلى الهدف، وتُمكننا من اكتساب ألقاب مرغوبة، كـ "مهندس"، "طبيب"، "مجتهد"، "رياضي"، أو "فنان".

إن العمل وسيلة أيضاً للتشبه بأسماء الله الحسنى. فالإنسان من خلال عمله ينال حظاً من تلك الأسماء. فمن أراد أن يتحلّى باسم «الحليم»، عليه أن يمارس الصبر والحلم عملياً، وأن يدرب نفسه على كظم الغيظ والتسامح مع أذى الآخرين. وهكذا، من أراد أن يتخلق بأيّ من الأسماء الإلهية، فلا بد أن يتمرن على معانيه حتى يكتسب صفةً من سنخه. هذا الفهم يؤكد على دور الإنسان في تجلّي صفات الله في عالم الوجود.

### أنواع العمل: كيف تهدينا أعمالنا نحو الكمال؟

يمكن دراسة أعمال الإنسان من جوانب متعدّدة، غير أنّ الهدف الرئيسي في هذا الدرس هو البحث في معايير قبول الأعمال والتمييز بين العمل المقبول والعمل المردود. وبناءً على هذا المنظور، تنقسم الأعمال إلى نوعين: أعمال تُقبل عند الله سبحانه وتهدي الإنسان نحو النمو والكمال، وأعمالٌ مردودةٌ خالية من الأثر، لا تترك في الروح أثراً للنماء، ولا تسهم في ترقّي الإنسان معنوياً.

العمل المقبول هو الذي يتغلغل في باطن الإنسان وذاته، ويزيد من رصيده الروحي، ويمنحه سكينهً وبهجةً داخلية، ويضعه على طريق الارتقاء والتكامل الروحي. هذا النوع من العمل يقرب الإنسان من الصفات الإلهية، ويُعدّه للحياة الأبدية في الآخرة. بعبارة أخرى، فإن العمل المقبول ينمي أبعاد الوجود الروحية في الإنسان، ويمنحه القدرة اللازمة للحياة البرزخية، ولولادةٍ سليمةٍ في عالم البرزخ.

أما العمل المردود، فهو الذي لا يضيف شيئاً إلى جوهر الإنسان ولا إلى رصيده المعنوي، أي لا يزيده قوةً روحية، ولا نوراً، ولا طمأنينة، ولا صبراً، ولا فرحاً داخلياً. والواقع أن هذا النوع من العمل يُبعد الإنسان عن الغاية التي خُلق من أجلها، وهي التخلُّق بالصفات الإلهية.

النقطة الجديرة بالتأمل في العمل المردود هي أنه يُؤدّي في الظاهر ولكن نتيجه غير محقّقة؛ فالعمل موجود، لكن الثمرة مفقودة.<sup>١</sup> والمثال الأوضح لذلك هو الصلاة؛ إذ من المفترض أن تكون الصلاة وازعة ومانعة عن القبائح والآثام، ولكن إذا أقدم الفرد على المنكرات رغم صلاته، فإن صلاته تُعد مردودة؛ لأنها أتت بنتيجة عكسية وأبعدته عن الكمالات الإنسانية. وفي هذا الصدد، يؤكد الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَقْبَلَتْ صَلَاتُهُ أَمْ لَمْ تُقْبَلْ؟ فَلْيَنْظُرْ: هَلْ مَنَعْتَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؟ فَبَقَدَّرَ مَا مَنَعْتَهُ، قُبِلَتْ.»<sup>٢</sup>

### مؤشرات العمل المقبول؛ كيف نميّز الفعل المؤثر؟

هل تعلم كيف يمكننا أن نميّز العمل المقبول والفعل من العمل المردود عديم الأثر؟ إنّ لكل عملٍ علاماته ونتائجه الخاصة، ومعرفة هذه العلامات تساعدنا على اختيار طريق صحيح في أفعالنا وسلوكنا.

إنّ الفهم الدقيق لمفهوم العمل، والقدرة على التمييز بين العمل المقبول والمردود، يعيننا على توجيه أفعالنا بما يقربنا من أسماء الله وصفاته. فغاية كلّ عملٍ ينبغي أن تكون «التحوّل» و«بلوغ الكمال». ولا تُقبل عند الله إلا تلك الأعمال التي تتقبّلها النفس حقاً وتنجذب إليها من أعماقها. بالتركيز على هذا الهدف والسعي لإنجاز أفعال موجهة نحوه، يمكننا أن نعيش حياة أكثر سعادة، وسكينة، وعمقاً، وعطاءً. فيما يلي نستعرض بعض علامات العمل المقبول وآثاره، في مقابل علامات العمل المردود.

<sup>١</sup> إنّ الصَّلَاةَ تُنَهْنِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؛ سورة العنكبوت، الآية ٤٥

<sup>٢</sup> مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَقْبَلَتْ صَلَاتُهُ أَمْ لَمْ تُقْبَلْ؟ فَلْيَنْظُرْ: هَلْ مَنَعْتَهُ صَلَاتَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؟ فَبَقَدَّرَ مَا مَنَعْتَهُ قُبِلَتْ مِنْهُ؛ علامه مجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٩٨

## علامات وآثار العمل المقبول:

- يُفضي إلى تعزيز السرور والسكينة الداخلية لدى الإنسان.
- يُطهر النفس من صفات مذمومة كالحسد، والغرور، والحقد.
- يُحدث في كيان الإنسان "تحولاً جوهرياً" يوجهه نحو النمو والتكامل.
- بالإضافة إلى توليد المعرفة، فإنه يُنتج الثروة والقوة الروحية.
- يُنجز بإخلاص وتفانٍ، ويكون القصد منه رضا الله وحده لا سواه.
- يُعين الإنسان على التخلق بالصفات الإلهية يوماً بعد يوم، ويُجسّد الأسماء الإلهية في وجوده.
- يُنمي لدى الإنسان بصيرة نافذة يُميّز بها بسهولة بين النمو الحقيقي (الذاتي) والنمو الوهمي (الظاهري).
- يُلزمه احترام حقوق الآخرين والاجتناب التام لكل أشكال الظلم والعدوان.
- يُكسب الإنسان مناعة ومقاومة أشد في مواجهة تحديات الحياة ومصاعبها.

## علامات وآثار العمل المردود:

- لا يُحدث أي تأثير ملموس في تهذيب الأخلاق أو تقويم السلوك الإنساني.
- يُعيق نمو الإنسان وتطوره الروحي وتقدمه.
- يقود إلى سوء النية، وتجذّر الحقد، وتفاقم الحسد.
- يُنفذ في ظل الجهل والشك والريبة (غياب اليقين).
- يُفضي إلى الإخلال بحقوق الجسد والجور على الجوارح والأعضاء (كالاستهلاك المفرط أو سوء الاستخدام).

## معايير العمل المقبول: كيف نُؤدي عملاً صالحاً مؤثراً؟

إن قبول العمل أمرٌ حقيقي وواقعي، لا اعتباري ولا ذهني فحسب؛ فكلّ عملٍ يُقبل لا بدّ أن تكون له آثارٌ ملموسة ونتائج حقيقية تُحدث أثراً واضحاً في نفس الإنسان وحياته. ففي كلّ مرحلةٍ نروم فيها بلوغ الكمال، والسير في طريق النمو والتشبه بأسماء الله، ينبغي أن يكون عملنا عملاً مقبولاً. ومقدار قبول العمل لا يتعلّق بمجرد أدائه، بل بجدوته وفاعليته؛ أي إنّ القيام بالفعل وحده لا يكفي، بل لا بدّ أن يبلغ العمل من الجودة والتأثير حدّاً يُحدث في النفس قدرةً وتحولاً واستعداداً جديداً.

أهمّ ما في العمل هو جودته لا كثرته؛ فالعمل لا يُقبل إلا إذا كان متقنًا، مستوفيًا شروط الصلاح والاعتبار. فكما أنّ الطاهي إن لم يُعدّ طعامًا جيّدًا، أو أفسده بالإهمال، لا يُعدّ عمله مقبولًا ولا يُشكر عليه، فكذلك أعمال الإنسان لا تُقبل إلا إذا رُوّعت فيها القوانين الإلهية، ونقاء النية، ومعايير حدّدها الله تعالى، حتى تُحدث أثرها في النفس ويُقال عنها إنها «عمل مقبول».

وقد بيّن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة شروط أساسية لقبول العمل، فقال: ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ عَمَلٌ؛ وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ، وَ خُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، حَلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ؛<sup>٣</sup> هذه الشروط تُظهر بوضوح أن العمل لا يُقبل بمجرد صورته الظاهرة، بل لا بدّ أن يكون ذا جودة وروح إلهية تمنحه أثرًا حقيقيًا في القلب والسلوك. وهكذا يتبيّن أنّ الفهم الصحيح لمعنى جودة العمل وتأثيره هو المفتاح الرئيسي للنجاح في طريق السموّ الروحي وبلوغ الكمالات الإلهية.

### موانع قبول العمل: العوامل المُعطّلة لمسيرة الإنسان نحو النمو والكمال

لكي تؤتي أعمالنا ثمارها في طريق السموّ والكمال، علينا أن نعرف موانع تسدّ سبيل قبولها، فنحذرنا ونتجنّبها. فهذه الموانع تشبه ما يمنع امتصاص الفيتامينات في الجسد، إذ تحول دون وصول الآثار الإيجابية للعمل إلى روح الإنسان ونفسه. فيما يلي نذكر أبرز هذه الموانع:

• **الجهل والشك:** ما دام الإنسان غارقًا في الشكّ والتردد، فلن يكون لعمله نفع. فالفعل لا يثمر إلا إذا صدر عن يقين وإيمانٍ راسخ. ومع وجود الشكّ والإنكار، لا يُمكن لأيّ عملٍ أن يورث خيرًا أو أن يُحدث تحوّلًا في الإنسان.<sup>٤</sup> بعبارة أخرى، لا بدّ أن يُصاحب العمل يقينٌ ومعرفة حتى يتغلغل في القلب والوجدان ويتّحد بالإنسان، وإلا انفصل عنه عند أول ضغطٍ أو اختبار. هذا الضغط يختلف من شخصٍ إلى آخر، فقد يكون سببه لُقمة دسمة، أو رحلة خارجية، أو استخدامًا مفرطًا للإنترنت أو القنوات الفضائية.

• **انعدام الإخلاص:** لا يُقبل من عمل الإنسان شيءٌ ما لم يكن خالصًا لله وحده، خاليًا من الرياء والهوى.<sup>٥</sup> فالعمل المرئي لا يجلب للإنسان كمالًا، بل يُثير غضب الله سبحانه وتعالى.

<sup>٣</sup> شيخ كليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٤

<sup>٤</sup> امام باقر (عليه السلام): «لا يَنْفَعُ مَعَ الشَّكِّ وَ الْجُحُودِ عَمَلٌ»؛ الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٠٠

<sup>٥</sup> أميرالمؤمنين (عليه السلام): «إِنَّكَ لَنْ تُثَقِّلَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا مَا أَخْلَصْتَ فِيهِ»؛ غرر الحكم و درر الكلم، ج ١، ص ٢٦٥

• **سوء النیّة، والحسد، والعداوة:** قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا إِذَا كَانَ فِي قَلْبِهِ سُوءٌ نِيَّةٍ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ».<sup>٦</sup> يُظْهِرُ هَذَا الْحَدِيثُ بَجَلَاءٍ أَنَّ عِلَاقَتَنَا بِالنَّاسِ تَتَوَثَّرُ مَبَاشِرَةً عَلَى قَبُولِ أَعْمَالِنَا. فَالْقَلْبُ الْمَمْلُوءُ بِالْحَسَدِ وَالضَّغِينَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعًا لِتَجَلِّيِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ وَلَا وَعَاءً لِتَلَقِّيِ الْكَمَالَاتِ. وَحَرَمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ حَرَمَةِ الْكَعْبَةِ، وَمَنْ الْوَاجِبُ أَنْ نَكُونَ عَلَى غَايَةِ مِنَ الرَّفْقِ وَالاحْتِرَامِ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ الْآخَرِينَ، وَلَا سِيَّما مَعَ عَائِلَتِنَا. كَمَا يَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ السَّعْيُ وَرَاءَ رِزْقِ حَلَالٍ أَوْ طَلْبُ الْعِلْمِ ذَرِيعَةً لِلتَّقْصِيرِ فِي وَاجِبَاتِ أُسْرِيَّةٍ أَوْ تَهَاوُنٍ فِي احْتِرَامِ الْآخَرِينَ.

• **عدم مراعاة حقّ الجسد:** إنّ جسد الإنسان أمانةٌ إلهيةٌ يجب أن يُصان وتُراعى حقوقه. فمن يُهمل بدنه أو يرهقه ظلماً يجعل حتى لُقمته الحلال حراماً في الأثر، ويُبطل عمله. ف اللّقمة المحرّمة لا تقتصر على ما يُكتسب من السرقة أو الغشّ أو الربح الجائر، بل تشمل أيضاً كلّ رزقٍ نحصله عن طريق طمع مفرط أو إرهاب النفس والجسد في سبيل المال. ومن هنا وجب تجنّب ظلم الأعضاء ومراعاة حاجات البدن، إلا في حالات استثنائية كالجهاد والدفاع عن الوطن، حيث يُقدّم الواجب الأعلى.

ومن موانع أخرى هي ترك الشكر، وغياب المعرفة، والإعجاب بالعمل وتعظيمه، فكُلّها حواجز تحجب أثر العمل وتحول دون قبوله. الابتعاد عن هذه الموانع والسعي لرضا الله تعالى يجعل أعمالنا مقبولةً لديه، ويقرّبنا من الكمال والتشبّه بأسمائه الحسنی.

تناولنا في هذا الدرس مفهوم العمل، وعرّفنا نوعيه: المقبول والمردود، وأشرنا إلى بعض علاماتها وآثارها. هناك جوانب أخرى كثيرة تستحق التأمل في هذين النوعين من العمل، إذ إنّ الوعي بها يعيننا على حسن الاختيار في المواقف المفصلية، لتُقدّم على العمل الأفضل والأصوب.

والآن، ما مدى معرفتك بهذين النوعين من العمل؟ هل تعرف أيّ الأعمال في حياتك اليومية يُعدّ «عملاً مقبولاً»، وأيّها مردود؟

يسرّنا أن نسمع رأيك وتجربتك في هذا الموضوع.

<sup>٦</sup> «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَهُوَ مُضْمَرٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ سُوءًا»؛ شيخ كليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦١